بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة * بعنوان: من دروس الإسراء والمعراج.. جبر الخواطر

في ذكرى الإسراء والمعراج

الأمة تحتاج إلى معراجٍ حضارى تنتقلُ به من التشرذم إلى الوحدة، والتـآلُق، والإشراق بأنوار النبوّة

مقارنة حسابية بين رحلة الإسراء ورحلة افتراضية من الأرض إلى الشمس

قراءة علمية جديدة في معجزة الإسراء والمعراج ومطلقية القدرة الإلهية

لماذا جاء الحديث عن رحلة الإسراء في سورة الإسراء، وجاء المعراج في سورة النجم؟

٣٠ مظهرا لجبر اللّه لخاطر النبي (ﷺ) وأمته في رحلة الإسراء والمعراج

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٧ رجب ١٤٤٧هـ / ١٦ يناير ٢٠٢٦م

صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي خلق الزمان والأكوان، وأرسل لنا رسل الله الكرام، وآخرهم خير الأنام ومسك الختام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أرسلته بمنهج الله الخالد لإصلاح الكون والحياة، وبعثته هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وشرفته بالخُلَق العظيم؛ ليتمم مكارم الأخلاق... وأكرمه بمعجزات باهرات لم تكن لغيره من إخوانه الأنبياء الكرام، ومن أهمها رحلة الإسراء والمعراج... تلك المعجزة الفريدة التى تجلت فيها مظاهر جبر الله تعالى لنبيه وللمسلمين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسوله.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كل الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يـارب بالمصطفى بلغ مقاصدنـا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صل وسلم دائما أبدا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١)، وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد...

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الإسراء: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١) .

وقال تعالى في سورة النجم: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ) (النجم: ١-١٨) .

أستهلُّ هذا الموضوع المتجدِّدِ دلالاتِه، دائمَ العطاء في معانيه، بتأملات فتح أبواب التدبّر:

الإسراء: بين المقاييس البشرية والسنن الإلهية

حين نقرأ قول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١) فنشعر أننا أمام حدثٍ لو قيس بالمقاييس البشرية لانخلع له العقل، لكنه عند الله سبحانه أمرٌ هين سهل ويسير.

وليس المقصود بلغة الأرقام أن نُقيد المعجزة، وإنما أن نوقظ العقول لتزداد القلوب يقينًا بعظمة القدرة الإلهية... ونغوص في هذه التأملات لنستشعر اتساع قدرة الله، وعمق حكمته، وعظمة أسراره التي لا يُدركها إلا من آمن بالله... فهيا بنا نتدارس بعض الأمور:

أولًا: ما المسافة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى بالكيلو متر؟

المسافة الجوية التقريبية، خطًّا مستقيمًا، بين المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس الشريف تبلغ: نحو ١,٢٣٠ كيلومترًا.

أما المسافة البرية فتتراوح بين: ١,٢٧٠ و١,٣٠٠ كيلومتر على حسب تعرجات الطرق ووعورتها واعتدالها... إلخ.

ثانياً: ما المسافة بين المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالمقاييس القديمة (زمن القوافل)؟

في زمن الإبل والقوافل:

فإن متوسط ما تقطعه القافلة في اليوم الواحد يتراوح من ٣٠ إلى ٤٠ كيلو مترًا، وذلك على حسب: قوة الإبل، وسلامتها، وصحتها، ومهارتها في السير، ومدى سلامة الطرق وورعورتها، فضلا عن العوامل الجوية...إلخ.

وبذلك: فعند سير القافلة بسرعة ٣٠ كم في اليوم فإنها تقطع المسافة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في نحو ٤١ يومًا، وعند السير بسرعة ٤٠ كم/يوم فإنها تقطعها في نحو ٣١ يومًا، أي شهرًا كاملًا أو يزيد، مع مشقة الطريق، وخطر السفر، وتوقفات القوافل.

ثالثًا: ما المسافة بين المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالمقاييس الحديثة؟

بالطائرة الحديثة:

- سرعة الطائرة التجارية تبلغ من ٨٠٠ إلى ٩٠٠ كم في الساعة، ومن ثم تقطع الطائرة المسافة بين المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في: (ساعة وربع إلى ساعة ونصف تقريبًا (زمن طيران صافٍ).

رابعًا: ما المسافة بين المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بسرعة الضوء؟

سرعة الضوء تبلغ نحو ٢٩٩,٧٩٢ كيلومترًا في الثانية (تُقَرَّب إلى ٣٠٠ ألف) أي ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة.

ومن ثم فالزمن اللازم لقطع المسافة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصي البالغة ١,٢٣٠ كم (ألف مائتان وثلاثين كيلو متر) (نحو ٠,٠٠٤ ثانية) أي أربعة أجزاء من ألف من الثانية.

وهنا يقف العقل مبهورًا:

فإذا كان هذا بسرعة مخلوقٍ من مخلوقات الله (ضوء الشمس)، فكيف بقدرة الخالق سبحانه؟!

مع الأخذ في الاعتبار أننا ما نزال نتحدث بقوانين الدنيا، فما بالنا بقوانين الله الأخرى؟!!.

خامسًا: مقارنة كونية أوسع ليتّضح المعنى

المسافة المتوسطة بين الشمس والأرض تبلغ: نحو ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر (مائة وخمسين مليون كليو متر) وتُسمّى في علم الفلك: الوحدة الفلكية... ويقطعها ضوء الشمس في:(٨ دقائق و٢٠ ثانية تقريبًا).

فإذا كان الضوء، بهذه السرعة الهائلة فكيف لو قسنا المسلفة بين المسجدين بسرعة الضوء؟ وهذه السرعة من قوانين الدنيا؟ النتيجة تساوي أربعة أجزاء من الألف من الثانية الواحدة... سبحان القادر الحكيم..

وهكذا بقدرة الله: (لَيْلًا) أي أن الرحلة تمت في جزء يسير جدا جدا من الليل، لا زمن... ولا مسافة... ولا حدود.

وهكذا فالإسراء ليس قصة تُحكى، ولا حدثًا يُقاس، بل إنها رسالة إيمان: فإن من عجز عن إدراك القدرة، فليؤمن بعظمة القادر جل وعلا، الذي صدَّر الحديث بقوله سبحان: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ...) إنها كلمةٌ واحدة، لكنها تهدم منطق المستحيل، وتبنى في القلب يقينًا لا يتزعزع.

تأملات: في رحلة افتراضية من الأرض إلى الشمس

ماذا لو افترضنا وجود طائرةٍ سرعتها ٩٠٠ كيلومتر في الساعة، ومزوَّدةٍ بوقودٍ يكفي لرحلةٍ متواصلة، ثم أُطلقت من الأرض باتجاه الشمس؛ فكم من الزمن تحتاج لقطع هذه المسافة؟

بمعنى: لو تخيّلنا وسيلة طيرانٍ ثابتة السرعة تبلغ ٩٠٠ كم في ساعة، وقادرة على الاستمرار دون توقّف، وانطلقت من الأرض نحو الشمس، فما المدّة الزمنية اللازمة للوصول؟

المسافة المتوسطة بين الأرض والشمس: = ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر (مائه خمسون مليون كليو متر تقريبا)
سرعة الطائرة: ٩٠٠ كيلومتر في الساعة
الزمن بالساعات: عدد الساعات في السنة الواحدة (٢٤ ساعة* ٣٦٥ يوم) = ٨,٧٦٠ ساعة.

لو افترضنا أن طائرة مزودة بالوقود اللازم والظروف الملائمة وانطلقت بسرعة ٩٠٠ كيلومتر في الساعة، من الأرض باتجاه الشمس -مع تحييد جميع العوائق الفيزيائية- فإنها تحتاج إلى ما نحو تسعة عشر عاما كاملة لتبلغ مقصدها.

وهذا المعطى وحده كافٍ لأن يكشف لنا الفارق الهائل بين مقاييس الإنسان المحدودة والسنن الكونية العظمى التي أدار الله بها هذا الكون البديع، ويوقظ في النفس معنى العجز المعرفي أمام سَعة قدرات الله القدير، وعظيم خلقه ودقّة تدبيره (جلَّ وعلا)، إضافة إلى أنه يرسّخ دلالة قوله تعالى: (...وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٨٥) ... فكلما اتسعت معارفُنا، ازددنا يقينًا.. نسألُ اللهَ أن يرزقَنا فهمًا عنه، ويقينًا به، وتعظيمًا له جلَّ وعلا.

لماذا جاء الحديث عن رحلة الإسراء في سورة الإسراء، وجاء عرضُ المعراج في سورة النجم؟

تُعَدُّ سورتا (الإسراء، والنجم) من السور الكريمة التي تناولت الرحلةَ النبويةَ العظمى في بُعدها المزدوج؛ رحلةٍ بين الأرض والسماء، جمعت بين:

- السير في عالم الشهادة... وهي رحلة أرضية ليلية أفقية...
- والارتقاء في عالم الغيب... وهي رحلة سماوية علوية رأسية...

أولًا: سورة الإسراء وتضمّنها الحديث عن الرحلة الأرضية

الإسراء في أصل اللغة هو السير ليلًا، من الفعل أسرى؛ أي سار في جنح الظلام. وقد استُهلَّت السورة الكريمة بقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ...) (الإسراء: ١) .

فجاء التركيز واضحًا على الرحلة الأرضية للنبي (ﷺ)، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهي رحلة واقعة في زمان ومكان معلومين، لكنها مشحونة بدلالاتٍ روحيةٍ عميقة.

ومن إعجاز القرآن العظيم أن الجزء الأول من رحلة الإسراء والمعراج، وهو رحلة الإسراء (السير ليلًا)، جاء الحديث عنه في سورة سُمِّيَت باسمه، في تناسبٍ بديع، وارتباطٍ محكم بين الاسم والمضمون، يفيض روعةً وإحكامًا، ويكشف عن دقة الاختيار القرآني ، وجمال النسق الرباني، بالغ الدقة والإيجاز والإعجاز.

ثانيا: سورة النجم وتضمّنها الحديث عن الرحلة السماوية (المعراج)

جاءت سورة النجم لتعرض مشاهد المعراج، أي رحلة الصعود والارتقاء إلى السماوات العُلا، وهو انتقال من عالم الأرض إلى آفاق السماء، ومن حدود الزمان والمكان إلى مقامات القرب والمشاهدة.

فاسم السورة «النجم» يحمل دلالةً سماويةً واضحة، فالنجم مكانه في السماء، إذ يرتبط بـ:

- العلو
- والضياء
- والهداية

وهو رمزٌ قرآنيٌّ للنور، وللاهتداء في ظلمات الطريق، وللارتقاء الروحي المتدرّج.

وقد صوّرت السورة هذا الارتقاء تصويرًا بالغ السمو، حيث بلغ النبي (ﷺ) منازلَ ساميةً لم يبلغها بشرٌ قبله، واقترب من حضرة القرب الإلهي اقترابَ تكريمٍ وتشريف، في مشهدٍ تتجلّى فيه أعلى مراتب القرب من الله سبحانه وتعالى.

وتعكس هذه الرحلة السماوية السموَّ الروحي والمعنوي للنبي (ﷺ)، وارتباطه المباشر بعالم النور والغيب، وهي امتدادٌ طبيعيٌّ للرحلة الأرضية، ولكن على مستوى أعمق؛ من القرب الإلهي، والمشاهدة القلبية وكلاهما بالروح والجسد.

ومن هنا جاء الحديث عن المعراج في سورة النجم؛ لأن مضمونها يعكس الجانب السماوي من الرحلة: الارتفاع، والنور، والسمو، وهي معانٍ يوحي بها اسم السورة، ويتجلّى بها سياقها، ويتناغم معها مقصدها.

مكامن السر في جمع الرحلة بين السورتين:

إن توزيع الحديث عن الإسراء والمعراج بين سورتين ليس مجرد تنويع في العرض، بل هو بناء قرآني مقصود، يكشف عن تكامل الرحلة الإلهية للنبي (ﷺ):

الإسراء: الرحلة الأرضية الليلية، انتقالٌ في الزمان والمكان، وتهيئةٌ للنفس وتأهيل للروح، لما سيأتي في الرحلة السماوية.

النجم: الرحلة السماوية الصاعدة، ارتقاءٌ في المقام، واتصالٌ بعالم النور والغيب.

وبهذا الجمع تتكامل الرحلة بين الأرض والسماء، (في رحلتين: أفقية ورأسية)، وبين الجسد والروح؛ لتقدّم أنموذجًا فريدًا للإنسان الكامل الذي يسير في الأرض بقيم السماء، ويرتقي إلى السماء وهو ثابت الجذور في الأرض.

وهكذا يتبيّن أن اختيار أسماء السورتين، وتوزيع مشاهد الرحلة بينهما، لم يكن إلا إعجازًا قرآنيًّا بلغ شأو البلاغة والإعجاز في تسلسلٍ دقيقٍ ومتدرّج، يراعي سموّ المقام، وتكامل الدلالة.

وبذلك يتجلّى التوازن البديع في الرحلة النبوية بين الوظيفة الإنسانية التي تتحرّك في واقع الأرض، والاصطفاء الإلهي الذي يرقى بصاحبه إلى آفاق السموات، في لوحةٍ قرآنيةٍ مكتملة الأركان، بالغة الدلالة، عظيمة الإيحاء، جليلة الإبهار، تكشف عن عمق الإعجاز البلاغي والدلالي في القرآن الكريم، وتؤكد أن كل لفظٍ فيه موضوعٌ بميزان في غاية الدقة والكمال والجمال والجلال.

***

الإمام البوصيري يبدع في وصف رحلة الإسراء والمعراج في البردة المباركة

يقول الإمام البوصيري [١] (رحمه الله) في البردة المباركة، المسماه: «الكواكبُ الدُّرِّيَّةُ في مَدْحِ خَيْرِ البَرِيَّة»:

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ *** كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً *** مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا *** وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ *** فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

الشرح: البيت الأول: سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ *** كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

يصوّر هذا البيت رحلة النبي (ﷺ) الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليلًا، كرحلة مدهشة تشبه حركة البدر في ظلام الليل.

(١) الإمام البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (١٢١٣م – ١٢٩٤م)، شاعر مصري من أصول أمازيغية، يُعد من أبرز شعراء المديح النبوي في التراث الإسلامي. وُلد في قرية دِلاص بمحافظة بني سويف وتوفي في الإسكندرية. اشتهر بقصيدته الشهيرة "البُردة" التي نالت شهرة واسعة، وقيل إنّ النبي محمد (ﷺ) ظهر له في المنام بعد إنشادها، ومنحه بردة رمزية من نور، فلقبت القصيدة بهذا الاسم. ترك البوصيري إرثًا شعريًا مميزًا يتصدره حبه للرسول (ﷺ).

والتشبيه بالبدْر يدل على إشراق النبى (ﷺ) في ظلام الدنيا، وعلى الهداية والرحمة التى يحملها من الله تعالى للعالمين. كما أن الليل يرمز إلى الظلام الروحى أو صعوبة الظروف، والنور (البدر) يرمز إلى النور الإلهى والهداية.

والبيت الثانى: وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً *** مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تَرُمِ

هنا الحديث عن الارتقاء الروحى والكرامة الإلهية التى حازها النبى (ﷺ) في رحلة المعراج. "قاب قوسين" تعبير قرآني عن قربة عظيمة من الله، أي درجة عالية جدًّا لم يُبلغها أحد قبله.

والبيت يشير إلى المقام الرفيع للنبى (ﷺ) عند الله، وإلى التدرج الروحى الذي بلغ فيه منازل سامية لم يصل إليها غيره.

أما البيت الثالث: وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَـاءِ بِهَا *** وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَـدَمِ

فيشير إلى أن كلَّ الأنبياء والرسل حيّوه ووضعوه في مقام رفيع، بحيث كان النبى (ﷺ) في أعلى منزلة منهم، ومكانته عظيمة لدرجة أن جميع الرسل اعترفوا بفضله وسموه عند الله في هذا المقام.

وهذا البيت يبرز مكانة النبى (ﷺ) الفريدة وتقديره من جميع الأنبياء والرسل، وهو تأكيد على عظمة شخصه الشريف والمرتبة التى خصّه الله بها

وأما البيت الرابع: وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ *** فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

فيُصوّر عروجَ النبى (ﷺ) مخترقًا السماوات السبع في موكب سماويّ مهيب.

ويُفيد أن هذا العروج كان في صحبة الملائكة والأنبياء تشريفًا وتكريمًا. ويعبّر لفظ «موكب» عن الاحتفاء العظيم، أما «صاحب العَلَم» فكناية عن تقدُّم النبى (ﷺ) ورفع الله منزلته على الجميع..

المسلم وصناعة التاريخ[٢].. النبي أنموذجاً

المسلم ليس رجلا يجلس على شاطئ التاريخ أو على هامش الأحداث ليشاهد من موقع المتفرج –وباندهاش– عملية المد أو الجزر، كلا فالمسلم ليس كذلك ، إنه رجل آخر.. إنه هو الذي يحرك التاريخ ويدفع بعجلاته إلى الأمام ويصنع –من خلال إرادته وقراره الحر– عمليةَ المد والجزر .

لذلك رأينا على مدار التاريخ رجالا يؤثرون فيه بل ويصنعونه لأمتهم ويخلدون من خلاله مواقفهم...أمثال هؤلاء الرجال يربط القدر بمواقفهم مصائر الأمم ومقدرات الشعوب .

عناصر تكوين التاريخ:

- وحدات زمنية تقدر بالسنين.
- أحداث تقع في تلك الوحدات وتستوعبها وتؤثر فيها بالإيجاب أو السلب والمد أو الجزر والتقدم أو التخلف والتراجع .
- رجال لهم من هذه الأحداث مواقف ولهم فيها مواقع .

والرجال الذين يصنعون التاريخ بمواقفهم، تحركهم عقائد، وتدفعهم مبادئ يعيشون بها ويعيشون لها؛ يعيشون بها التزاما وسلوكا في حياتهم ، ويعيشون لها عطاء وتضحيات، وتلك أولى الدرجات في سلم معراج التغيير من حال إلى حال .

(٢) انظر: المحاضرة القيمة: حاجتنا إلى معراج جديد لسماحة الدكتور/ إبراهيم محمد سالم أبو محمد، المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية، ص ٣–١١ بتصرف

ولقد كان رسول الله (ﷺ) مثلا رفيعًا ورائعًا في الوفاء للمبدأ، حين استعلى بدينه على عوامل الرغبة والرهبة وأعلن في وضوح تام أنه لن يفرط فيه، ولن يتخلى عنه ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره حتى يظهره الله أو يهلك دونه.

إصرار جدير بالإعجاب والتقدير من أصدقاء المبدأ، ورفاق القضية، وحتى من أعدائه والمخالفين له على حد سواء.

وهذا الإصرار الرائع هو الذي دفع عمه أبا طالب ليدرك من خلال مواقف ابن أخيه أنها عقيدة لا تباع بملء الأرض ذهبًا، ولن يتخلى عنها صاحبها أبدًا .

وأدرك أبو طالب أن ابن أخيه طراز فريد من الرجال وأنه نوعية متميزة تجمع من أقطار الكمال ورقي الخصائص مالا يتوفر لغيره، ولديه من المؤهلات النفسية والروحية ما يجعله أهلا لثقة السماء كما هو أهل لثقة أهل الأرض إنه معروف بينهم بالصادق الأمين فهل تراه يكذب؟ وعلى من على الله؟ (كلا) لقد دارت تلك الخواطر بعقل الرجل الكبير أبي طالب.

وإذا بأبي طالب بن عبد المطلب يشدُّ بيدِ ابنِ أخيه، ويُعلن قراره أمام الدنيا كلِّها، قائلًا: «اذهبْ يا ابنَ أخي، فقلْ ما أحببتَ، فوالله لا أُسلِمُك لشيءٍ تكرهه أبدًا»... ثم أنشد:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ * حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا**
فَاصدَع بِأَمرِكَ ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ * وَابشِر بِذاكَ وَقَرَّ مِنهُ عُيونا**
وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ ***وَلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمينا
وَعَرَضتَ دينًا قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ * مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا**
لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً * لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا** (٣) .

لكن الموت كان على موعد في بيت أبي طالب ليختطف الرجل، ثم اكتملت الفجيعة بموت السيدة الجليلة خديجة (رضي الله عنها) من ناحية، واشتداد الإيذاء وضراوة الوحشة والغربة في بلد هى مسقط الرأس ومحضن الطفولة وموطن الذكريات من ناحية ثانية.

---

(٣) أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (نَحْوُ ٥٣٥م – ٦١٩م / نَحْوُ ٨٥ ق.هـ – ٣ ق.هـ)، هُوَ عَبْدُ مَنَافِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ الْقُرَشِيُّ، سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَرَئِيسُ بَنِي هَاشِمٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ. وأبو طالب هي كُنيته، وقد غلبت على اسمه حتى صار لا يُعرف إلا بها، وهو عمُّ النبي ﷺ وكافله وناصره. وُلِدَ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ وَنَشَأَ فِي بَيْتِ الزِّعَامَةِ وَالشَّرَفِ، وَوَرِثَ عَنْ أَبِيهِ السِّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ، وَعُرِفَ بِالْحِكْمَةِ، وَالْجُودِ على الرَغْم من قِلَّةِ مَالِهِ، وَبِالْمَهَابَةِ الَّتِي جَعَلَتْهُ مَرْجِعاً لِقَوْمِهِ فِي الْمُعْضِلَاتِ. ارْتَبَطَ اسْمُهُ ارْتِبَاطاً وَثِيقاً بِابْنِ أَخِيهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، حَيْثُ كَفَلَهُ بَعْدَ وَفَاةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ، فَأَحَبَّهُ حُبّاً شَدِيداً وَقَدَّمَهُ عَلَى أولاده، وَكَانَ يَصْحَبُهُ فِي رِحْلَاتِهِ التِّجَارِيَّةِ إِلَى الشَّامِ، وَهُوَ مَنْ زَوَّجَهُ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بَعْدَ أَنْ خَطَبَ لَهُ خُطْبَةً بَلِيغَةً تَنِمُّ عَنْ فَصَاحَتِهِ. وَبَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ (ﷺ)، كَانَ أَبُو طَالِبٍ الدِّرْعَ الْحَصِينَ لَهُ، فَمَنَعَهُ مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ، وَرَفَضَ تَسْلِيمَهُ لَهُمْ على الرغم من كُلِّ الضُّغُوطِ وَالْمُغْرِيَاتِ، وَدَخَلَ مَعَهُ وَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ حُوصِرُوا ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ تَعَرَّضُوا فِيهَا لِلْجُوعِ وَالْمَشَقَّةِ نُصْرَةً لِلرَّسُولِ. كَانَ أَبُو طَالِبٍ شَاعِراً فَحْلاً مِنْ فُحُولِ الْعَرَبِ، وَتُعَدُّ قَصَائِدُهُ مِنْ عُيُونِ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ لِقُوَّةِ سَبْكِهَا وَصِدْقِ عَاطِفَتِهَا، وَأَشْهَرُهَا "اللَّامِيَّةُ" الَّتِي مَدَحَ فِيهَا النَّبِيَّ (ﷺ) وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ "أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ"، وَالَّتِي اعْتَبَرَهَا ابْنُ سَلَّامٍ الْجُمَحِيُّ مِنْ أَجْوَدِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ. لَهُ مِنَ الْأَبْنَاءِ: طَالِبٌ، وَعَقِيلٌ، وَجَعْفَرٌ (الطَّيَّارُ)، وَعَلِيٌّ (رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ)، وَمِنَ الْبَنَاتِ: أُمُّ هَانِئٍ، وَجُمَانَةُ، وَأُمُّهُمْ جَمِيعاً فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ. تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الشِّعْبِ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ، فِي الْعَامِ الْعَاشِرِ لِلْبَعْثَةِ، وَهُوَ الْعَامُ الَّذِي سَمَّاهُ المؤرخون "عَامَ الْحُزْنِ" فقدْ فقَدَ النبي (ﷺ) فيه عَمَّهُ وَزَوْجَتَهُ خَدِيجَةَ. بِوَفَاتِهِ فَقَدَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَعْظَمَ حُمَاتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِمَّا مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِاشْتِدَادِ الْأَذَى عَلَيْهِ وَمِنْ ثَمَّ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. دُفِنَ أَبُو طَالِبٍ فِي مَقْبَرَةِ الْحَجُونِ بِمَكَّةَ، وَبَقِيَتْ سِيرَتُهُ مِثَالاً لِلْوَفَاءِ وَالْمُرُوءَةِ وَالنَّخْوَةِ الْعَرَبِيَّةِ. انظر: الديوان – المخضرمون "أبو طالب بن عبد المطلب" والله لن يصلوا إليك بجمعهم... https://www.aldiwan.net/cat-poet-Abutaleb

وكان لا بد من نقلة يتم فيها الاتصال المباشر بين الأرض والسموات، وهى نقلة ليس المقصود منه الانتقال من مكان إلى مكان، وإنما المقصود منها الانتقال من شعور إلى شعور، فإذا سافرت ومعك الهمّ فأنت مقيم لم تبرح. كانت الرحلة إذًا انتقالا من الشعور بالأرض ومَن عليها من ظلم وبغى واضطهاد إلى الشعور بالسماء وما فيها مِن حبّ له وحنو عليه ورعاية لدعوته .

كانت الرحلة خروجًا من إطار الأرض المحدود إلى اللانهائية هناك حيث لا هناك هناك، وكأن الله (تعالى) يقول لنبيه (ﷺ):

- لاتحزن
- لا تك في ضيق مما يمكرون
- فدعوتك ستعم الآفاق كلها، وسيكون لها من الانتشار ما لهذه الآفاق من السَّعة، وسيكون لك من الأتباع المخلصين رجال... رجال واحدهم بأمة.. رجال يستوثقون من صدق الخبر عنك، ثم ينطلقون خلفك ومعك ومن بعدك يحملون دعوتك ويبلغونها الناس وينشرونها في الأرجاء كما ينتشر الضوء والسنا بعد ليل طويل معتكر.

كانت الرحلة إذًا:

- مؤشرا بامتداد الرسالة في الآفاق.
- وانتصار الرسول (ﷺ).
- وامتحان الأتباع الذين على أكتافهم ستبنى أمة، وتؤسس دولة، ويقوم دين... وعليه فلا بد من غربلة للصفوف، حيث تنتقل الدعوة في مسيرتها من مرحلة إلى مرحلة. من مرحلة تحمل المعاناة بصبر وتجلد، إلى مرحلة المواجهة الواضحة الصريحة، فهل سيتحمل الكل مسؤولية التبعة وهل الجميع على استعداد للتضحية والفداء؟.

سؤال لا بد للواقع من أن يجيب عليه في امتحان بالغ الشدة (...وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ...) (الإسراء: ٦٠) .

نعم إنها فتنة تنقي الصفوف:

إنها فتنة تنقى الصفوف، وتفرق بين الصادق والكذوب، وبين عشاق المبادئ وطلاب المغانم، وبين الرجال الذين يظهرون في المحن والشدائد وبين الإمعات وأنصاف الرجال الذين يرقصون على الجراح وينوحون في كل مأتم ويطبلون في فرح ويأكلون على كل مائدة!!.

نعم إنها فتنة تنقى الصفوف من تجار الشعارات الذين يركبون الموج في كل مد، ويبيعون ضمائرهم في كل سوق.

كما أنها طمأنة وجبر للخاطر:

وكانت الرحلة أيضا تسرية عن النبي (ﷺ) وطمأنينة له، تشعره أنه في كنف السماء، وأن الله (جل جلاله) لم يتخل عنه أبدا... لكن الله جلت قدرته وحكمته يترك البشر لأسبابه العادية التى أودعها في الكون، فإذا ما بذل الإنسان جهده واستنفد في سبيل الثبات على المبدأ طاقاته تدخلت السماء بتأييدها ورعايتها له فتجبر النقص وتتمم العمل وتحسم الأمر لصالح أهل الإيمان (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: ٥١)

من هنا تَكَون التاريخ:

وبعد اكتمال العناصر الثلاثة في الزمن والأحداث والرجال تكوّن التاريخ وبدت قسمات بطولة الرجال الذين رباهم المنهج، مضيئة مشرقة على أيامه ولياليه، ثم دار الزمن وتحول وخلف من بعدهم خلف حولوا التاريخ بمكوناته ومقوماته وعناصره إلى مجرد قصص فقدت مضمونها وفحواها .ومن هنا نقول إننا في حاجة إلى معراج حضاري جديد [٤] تنتقلُ به الأمة من التفكك والتخلف والتشظي والتشرذمِ إلى الوحدة، والتألّق، والإشراق بأنوار النبوّة.

ماذا قبل الإسراء والمعراج؟

الإسراء والمعراج معجزة فريدة، وآية من آيات الله الكبرى، وكرامة من الكرامات العظمى لرسولنا الكريم (ﷺ)، وكانت تكريمًا لسيدنا محمد (ﷺ) ولأمة الإسلام في شرق الأرض وغربها، في شمالها وجنوبها، في طولها وعرضها وعمقها، وستظل تتجدد دروسها وعطاءها ما دامت الحياة.

ففي الوقت الذي عانى فيه المصطفى (ﷺ) والمسلمون الأوائل سلسلة من التحديات، وحملات التشويه، والتكذيب، والتعذيب، ووضع العراقيل أمام الدعوة، ومحاولات أهل الباطل إثناء النبي (ﷺ) وصحابته عن الحق، بالترغيب والمغريات تارة، والترهيب والتخويف تارة أخرى، بل وصل الحد إلى التخطيط لقتله، والتخلص منه (ﷺ)!! فإنه قد ضرب أروع أمثلة التاريخ الإنساني في التحمل والثبات على الحق، مُقدِّمًا روحه وكلَّ ما يملك، فداءً لرسالته؛ وتتصاغر أمامها كل المغريات مهما كانت، حتى لو وضعوا الشمس في يمينه، والقمر في يساره!.

أراد الله (عز وجل) بهذه الرحلة الكريمة المباركة، أن يُسَرِّي عن نبيه ومصطفاه ويسليه، بعد أن تواترت عليه الغموم، والهموم، والتحديات، والملمات...

ويسجل التاريخ هذه الأحداث في سجلاته الخالدة؛ لتكون شاهد عيانٍ على الصراع الضاري والمستعر بين الحق والباطل...

- ففي السنوات الثلاث الأُوَل من البَعْثَة الشريفة، ظلَّت الدعوة إلى الله (تعالى) سرًّا، أسلم فيها رجالٌ ونساءٌ، كانوا طليعة الدعوة وركائزها.
- وفي المرحلة الثانية: وتبدأ من العام الثالث للبَعْثَة حتى العام السادس منها، لقي المسلمون إيذاء شديدًا، غير أنه أسلم فيها: عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب (رضى الله عنهما)؛ مما عزز موقف المسلمين، فشرع المشركون في المفاوضات والإغراءات، وكان همّهم الأول والأخير إيقاف نهر الدعوة عن الجريان والسريان، والإجهاز على الرسالة في مهدها، ومِن ثَمَّ اقتلاع شأفة الإسلام من جذورها؛ ففشلوا في محاولاتهم البائسة واليائسة، فازداد حنقهم وتنكيلهم بالمسلمين، فأذن النبي (ﷺ) للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة؛ لأنَّ فيها ملكًا لا يُظلم عنه أحد.
- وفي المرحلة الثالثة: وتبدأ من العام السادس للبَعْثَة حتى العام التاسع منها، إذ اشتدت الوثنية المسعورة في حربها وغيِّها وإيذائها، حيث حاصَروا النبي (ﷺ)، وأتباعَه، وأقاربَه في شِعْب أبي طالب، ومنعوا عنهم حاجيات الحياة!!، وانتهى الحصار في نهاية العام التاسع من البَعْثَة الشريفة، وعلى الرغم من خروجهم منه متعبين منهكين؛ إذ أثَّر كثيرًا فى صحتهم وقواهم الجسدية، إذ كانوا أشدَّ صلابةً في دينهم، وأرسخَ ثباتًا على مبدئهم.
- ويدخل العام العاشر للبَعْثَة، وفيه يموت أبو طالب (عم النبي (ﷺ) ونصيره الخارجي) وقد ناهز الثمانين بعد أن أنهكه الحصار. وبعد بضعة أيام ماتت السيدة خديجة (نصيره الداخلي الأعظم، وركنه الشديد، وكنفه الذى يَسكن

(٤) انظر: محاضرة: حاجتنا إلى معراج جديد (مراجع سابق) ص ٣-١١ بتصرف

إليه، وبلسمه الذي كان يداوي جراحه)، فسمَّي المؤرخون هذا العام: عامَ الحزن... لقد فَقَد النبي الكريم اثنين من أكبر داعميه ومسانديه، وفي هذه الأجواء بدأت فكرة قتل سيدنا محمد (ﷺ) تختمر في عقول المشركين!!.

وذهب النبي الكريم إلى "الطائف"؛ لعله يجد هناك نصراء للدعوة، فما كان من أهلها إلا أن استقبلوه بغاية القسوة والعنف؛ إذ سلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم، ورموه بالحجارة حتى سال الدم من قدمه الشريف، فرفع النبي (ﷺ) أكف الضراعة إلى ربه ومولاه، مستغيثًا به طالبًا العون منه جل في علاه.

وفي رحلة الطائف، وتتابع البلاء الجسدي، والنفسي يحضرنا فى هذا المشهد قول الشاعر:

إن البلاء يُطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف صار غير مُطاق

ربما يحدث هذا معنا؛ لكن النبي (ﷺ)، أثبت من الجبال الشامخات الراسيات؛ فهو المؤيد من الله سبحانه.

لماذا كانت رحلةُ المعراجِ ابتداءً؟

لا يخفى على منصف، ولا يغيب عن عاقل، مدى حبِّ الله سبحانه وتعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ، وعظيمِ تكريمه له؛ فقد كان في قدرة الله تعالى أن يُرسلَ سيدَنا جبريلَ عليه السلام ليُخفِّف عن نبيِّه الكريم ويُزيل همَّه، أو أن يبعثَ مَلَكًا يواسي، أو رسالةً تُسكِّن الألم، أو وحيًا يُهوِّن المصاب؛ لكنَّ لطفَ الملك ألطف، ورحمتَه أعطف، ولقاءَه أرأف؛ وربُّك الغنيُّ ذو الرحمة، شاء جلَّ جلاله أن يكون جبرُ الخاطر عروجًا، وأن يكون التكريم لقاءً، وأن تكون المواساة حضورًا في الملأ الأعلى، فأراد أن يُكرِّم نبيَّه ﷺ في السماء.

وكان المعراج إعلانًا ربانيًّا جليًّا أن مقامَ النبوّة لا يُقاس بميزان الأرض، ولا تُحدِّده معايير البشر، وأن الرسالة التي ثقلت على القلوب، إنما تستمدُّ قوتها من السماء. فهناك، في العلوّ، تعلَّم النبي ﷺ أن الطريق وإن اشتدَّت وعورته، فإن نهايتَه قربٌ، وأن الرسالة وإن أثقلت الظهر، فإن حاملَها في رعاية الله وعنايته.

وهكذا لم تكن رحلةُ المعراج مكافأةً بعد عناءٍ فحسب، بل كانت إعدادًا لمرحلةٍ جديدة، وترسيخًا لليقين، وتثبيتًا للفؤاد، وبعثًا للأمل في أمةٍ ستتعلَّم من نبيِّها ﷺ أن الصعود إلى الله هو دواءُ الانكسار، وأن من عَرَفَ السماء، هانت عليه قسوةُ الأرض.

لماذا حدثت معجزة الإسراء والمعراج في هذا الوقت بالذات؟

إن رحلة الإسراء والمعراج كانت حدثًا محوريًّا فريدًا، وجاءت في وقت مهم من تاريخ الدعوة لعدة أسباب، منها:

الأول: للتدليل العقلي على صدق الرسالة والرسول، فالمسلمون وقتئذ كانوا قلة مستضعفين، يعانون أشد أنواع الاضطهاد من المشركين... ويشاء العليم الخبير (جلَّ وعلا) أن تَحدث معجزة الإسراء والمعراج لنبيه جسدًا وروحًا في هذا الوقت، ويعلنها النبي بمنتهى الجرأة والصراحة والوثوق، دون خوف من مجازفته بهذا الإعلان، إذ لو لم تحدث –وحاشا لله أن يقول شيئا لم يحدث وهو الصادق الأمين– لكان ذلك سببا في القضاء على رسالته برمتها؛ إذ كيف يضحي بدينه ورسالته وبنفسه وأصحابه بإذاعته شيئا لم يحدث؟!.

ومن ثم فإن إخباره عن ذلك بذلك وبأنه أسري به وعُرج، وبوصف بيت المقدس بشكل دقيق وكأنه أمامه، وإخباره بوصول إبل فلان –التي رأها في رحلته– يوم كذا ساعة كذا، وقد وجاءت بالفعل في الوقت الذي حدده تماما...إلخ، دليلٌ عقليٌّ دامغٌ على وقوع هذه المعجزة، وعلى صدق الرسول والرسالة، والنبي لم يقل أنا سريت،

ولكنه قال: أُسري بي، ومن ثم فهو إذًا محمول على نطاق قوة الله (تعالى) الذي أمره بين الكاف والنون إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

ولا شك أن الزخم الذي حدث إبان الإعلان عن هذه المعجزة والذي انتصر فيه النبي على الكافرين في كل محاولتهم للتشكيك فيما يقول، ويفحمهم بإجابات حقيقية وتحدث على أرض الواقع كان دليل صدقه .

الثاني: كانت بمثابة توطئة للهجرة، ولأعظم مواجهةٍ على مدى التَّاريخ للكفر، والضَّلال، والفسوق، جاءت في وقت مهم حيث الاستعداد لبناء دولة الإسلام الوليدة في المدينة المنورة، وهذا البناء التاريخي، يحتاج إلى:

- رجال أقوياء –ستبني على أكتافهم هذه الدولة التي سيشع منها نورُ الإيمان إلى شتى ربوع المعمورة
- أقوياء في إخلاصهم لله
- أقوياء في إيمانهم برسالتهم
- أقوياء في جَلدهم وتضحياتهم
- أقوياء في صدقهم
- أقوياء في صبرهم، أقوياء في تعلقهم بربهم، أقوياء في بُعدهم عن النفاق والشقاق... فجاءت هذه المعجزة في هذا الوقت خاصة؛ لتُحْدثَ غربلة في صفوف المسلمين، يتميز بها الغث من الثمين، جاءت لتنقي الجسد الإسلامي الطاهر من المنافقين الذين من شأنهم أن يُقَوّضُوا البنيان من الداخل.

رحلة مهيبة للغاية:

الإسراء والمعراج كانت رحلة مهيبة للغاية، رأى فيها النبي (ﷺ) من آيات ربه الكبرى، رأى عجبًا من قدرات الله تعالى... رأى البراق بسرعته الجبارة، رأى جموع الأنبياء والمرسلين مُصطفِين –على أرض باركها الله، في بقعة غالية وهي بيت المقدس– لاستقباله والاحتفاء به، وتقديمه لإمامتهم في الصلاة، ويا له من تكريم عظيم!!

وبعد الصلاة بالمسجد الأقصى، –ويبدو أنها كانت تمهيدًا لما سيأتي بعدها مِن جلائل الأمور– صعَّده ربُّ العزة إلى السموات العلا؛ فاستقبله الأنبياء والمرسلون في السموات مثلما استقبلوه في الأرض، رآهم، وكلمهم، وتحدث إليهم، ورأي السموات واحدة بعد الأخرى، وعاين بعض مشاهد النعيم والتنعيم، وبعض مرآي العذاب الأليم.

ويرفعه رب العزة فوق السموات، ليبلغ منازل العُلا والسموق، في مكان كريم، لا يدخله حتى كبار الملائكة، فأراه ربُّه سدرةَ المنتهى، وأدخله نورَ النور، وكشف له من آياته الكبرى، وتجلياته العظمى... أراد الحق –سبحانه– أن يريه بعض مشاهد الحق، وأراد القوي القدير أن يريه بعض دلائل القوة والقدرة، وأراد النور –جل وعلا– أن يفيض عليه من بعض نوره؛ ليعود به إلى الأرض، فينيرها ويبدد ظلامها وظلماتها بنور الله، ويا له من تكريم، ما بعده تكريم!.

الأدلة العقلية الدامغة على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً

لا يحتاج العاقل إلى عناء الإقناع ليعلم أن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن رؤيا منامية، ولم تكن بالروح فقط؛ بل كانت معجزة باهرة جمعت بين الجسد والروح... إذ كيف يُعقل أن يكرّم الله نبيه ﷺ بهذا المقام السماوي ويجعله مجرد تصور عقلي أو رؤيا منامية؟ وكيف يكون اللقاء مع الملائكة، والصلاة بالمسجد الأقصى، ومشاهد العرش والملأ الأعلى حقيقيًا ومعجزًا إذا اقتصر على الروح وحدها؟

إن العقل والمنطق يقرّان بأن هذا العروج كان رحلة كاملة للكينونة البشرية للنبي ﷺ، جسدًا وروحًا معًا، بحيث تتحقق فيه كل الآيات والمعجزات الإلهية دون نقصان أو غموض، ويُثبت أن الله سبحانه وتعالى يكرّم رسوله ﷺ تكريمًا لا يُدرك إلا بالواقع الكامل للجسد والروح معًا. وإليكم البيان..

١) انتفاء معنى المعجزة لو كانت رؤيا منامية

الرؤيا الصادقة لا تُنكر، ولا تُكذَّب، ولا تُحدث صدمةً اجتماعية؛ ولو كانت الرحلة منامًا لما كان فيها خرقٌ للعادة، ولا موضعُ تحدٍّ، ولا وجهُ إعجاز.

٢) تكذيب قريش دليلُ اليقظة لا المنام

قريش لم تُكذّب النبي (ﷺ) لأنه رأى رؤيا، بل كذّبته لأنه أخبرهم بخبرٍ وقع في اليقظة؛ ولو قال: «رأيتُ في المنام» لما أنكرت قريش، ولا جعلت ذلك مادةَ سخريةٍ واستهزاء ومحاولتها الخبيثة للنيل منه (ﷺ).

٣) سؤالُهم عن أوصاف بيت المقدس

سؤالهم التفصيلي عن المسجد الأقصى ومعالمه يبرهن عقليًّا أنهم استوعبوا الرحلة على حقيقتها: انتقالٌ بالجسد لا مجرد تجربة روحية باطنية.

٤) إخباره (ﷺ) بقافلة قريش

إخبارُه عن قافلةٍ رآها في طريق العودة، وتحقّق الخبر واقعًا، وكان ذلك قرينةٌ عقليةٌ على وقوع الرحلة في الزمان والمكان الحقيقيين.

٥) ذكر وسيلة النقل (البراق)

الرؤيا لا تحتاج وسيلةَ انتقال، أما ذكرُ البُراق، ووصفُه، وربطه بالمسافة، فدليلٌ على حركةٍ جسديةٍ حقيقية.

٦) ربطُ الرحلة بالليل والزمان المحدد

ربط الرحلة بالليل والزمن المحدد :تحديدُ وقتها ليلًا، ووضوح الربط بين الذهاب والعودة، دليل على أنها ليست أحلامًا أو رؤىً منامية، فالأحلام لا تُقاس بزمنٍ حقيقيّ مضبوط، ولا يخضع لمسار دقيق كمسار الرحلة الإلهية.

٧) تصديق أبي بكر الصديق

تصديقُ الصدّيق رضي الله عنه لم يكن للرؤيا، بل لخبرٍ خالف المألوف العقلي؛ ومن هنا استحقّ لقب الصدّيق.

٨) ورود التعبير القرآني: (بعَبْده)

العقل العربي يفهم أن العبد اسمٌ لمجموع الروح والجسد، ولا يُطلق على الروح وحدها، وإلا لقال: بروح عبده.

٩) نسبةُ الفعل إلى الله مباشرة

قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى) التسبيح لا يكون إلا عند أمرٍ خارقٍ للسنن الكونية، لا عند رؤيا منامية مألوفة.

١٠) ذكر المسير بين مكانين أرضيين

الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى انتقالٌ مكانيٌّ حقيقي، لا يتناسب مع الرؤى التي لا تُقيَّد بالمسافات.

١١) اجتماعُ الإسراء والمعراج في سياق واحد

اجتماع الإسراء والمعراج في سياق واحد :فالمعراج، باتفاق العقلاء، لا معنى له روحانيًا فقط دون الإسراء الجسدي؛ فالتفريق بينهما بلا دليل يُعدّ تفكيكًا غير منطقي للنص.

١٢) لو كانت رؤيا لما اختُص بها النبي (ﷺ)

الرؤى الصالحة يشترك فيها المؤمنون، أما هذه الرحلة فاختصاصٌ نبويٌّ فريد، يدل على حدثٍ عينيّ استثنائي.

١٣) كون الرحلة تأسيسا لتكليف عملي (الصلاة)

الرؤى لا تُبنى عليها فرائض عملية لازمة، أما الصلاة فُرضت في هذه الرحلة، مما يدل على يقظةٍ وتشريعٍ واقعي.

١٤) التحدي العقلي لا يكون بالرؤى

التحدّي يقع فيما تراه العقول مستحيلًا عادةً، أما الرؤى فلا تمسّ قوانين المكان والزمان، فلا معنى لتحدّي الناس بها.

١٥) لو كانت مناماً لبين النبي (ﷺ) ذلك

والنبي (ﷺ) أصدق الخلق بيانًا، فلو كانت رؤيا لصرّح بها رفعًا للالتباس، خصوصًا مع شدة التكذيب.

وهكذا فإن القول بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معًا هو القول الوحيد الذي:

- ينسجم مع سياق القرآن
- ويتوافق مع ردود فعل قريش
- ويُبقي للحدث قيمته الإعجازية
- ويحفظ منطق التشريع والتكليف

أما اختزالهما في رؤيا، فهم تعطيلٌ للمعجزة، وإفراغٌ للحدث من دلالته، ومصادمةٌ للعقل قبل النقل..

خمس حجج عقلية قاطعة على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معا

١. الانتقال المكاني الواقعي

الرحلة تضمنت الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ووصف المعالم والطرق، وهو أمر لا يتحقق في مجرد رؤيا أو حلم.

٢. المعايشة مع الزمان والواقع

حددت الرحلة الليل كزمن للانتقال، وتمت متابعة الأحداث الواقعية مثل رؤية قافلة أو لقاء الأنبياء، مما يدل على يقظة الجسم والروح معًا.

٣. اختصاص النبي (ﷺ) بالحدث

لم يشترك أحد في هذه الرحلة كما يحدث في الرؤى الصالحة، مما يثبت أن الحدث كان خارقًا للطبيعة وفي الوقت ذاته واقعيًا ومخصصًا للنبي (ﷺ).

٤. الفرض العملي الناتج عنها

فرضت الصلاة على النبي (ﷺ) في هذه الرحلة، وهو تكليف عملي مرتبط بالواقع، لا يمكن فرضه على رؤيا أو حلم فقط، مما يدل على تجسيد الرحلة واقعيًا. كما أشرنا

٥. ردود أفعال الناس والعقلاء

تكذيب قريش للسفر، وتفسيرهم استحالة حدوثه، يشير إلى أن الرحلة كان لها أثر محسوس وملموس على الواقع، لا على عالم الأحلام، مما يعزز دلالة الإسراء والمعراج بالجسد والروح...

***

تابع الأدلة الدامغة على أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد معا

يؤكد الشيخ الشعراوي (رحمه الله) أن الإسراء والمعراج كانت يقظة بروحه وجسمه معًا، مشيرا إلى أن الكافرين وتعنتهم أمام رسول الله (ﷺ) قد خدمونا خدمة كبيرة الآن؛ لأننا نقول: لو أنها كانت رؤيا منامية لما ناقش فيها أحد؛

لأن قانون الرؤيا فوق قانون المادة اليقظية، وأن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معا قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١) ، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح أهـ.

- والله (سبحانه وتعالى) **أنزل من قبل سيدنا محمد (ﷺ)، عبدين من عباده من السماء إلى الأرض**، وهما سيدنا آدم وأمنا حواء (عليهما السلام)، قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ...) (البقرة: ٣٨)، قال ابن كثير: أهبطهم من الجنة.
- **ورفع قبل سيدنا محمد (ﷺ)، عبدًا من عباده من الأرض إلى السماء** وهو سيدنا عيسى (عليه السلام)، فقال: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...) (آل عمران: ٥٥).

فكيف إذًا نستكثر على رسول الله (ﷺ) أن يعرج به مولاه؟!.

إذا كان الله قد أنزل عبدين من الجنة، ورفع عبدًا إلى السماء، فليس بعجيب أن يكرم محمدًا ﷺ بالإسراء والمعراج

كشف المنافقين:

فبعد هذه الرحلة كشف الله المنافقين الذين ارتدوا على أعقابهم... وكانوا قلَّة قليلة؛ ولكنها قلَّة مؤسفة!.. نعم قلَّة مؤسفة مِن الذين لم يؤمنوا على وجه الحقيقة بقدرة الله تعالى وقوته وعظمته، ولم يستوعبوا حقيقة المعجزة التي سجلها القرآن العظيم بجلاء في سورتي: الإسراء والنجم، وفصَّلت السُّنةُ المطهرةُ الثابتةُ أحداثَها، وأجمعت الأمةُ على التصديق بها، وتعبدت بما أوحى الله سبحانه وتعالى فيها لنبيه الكريم، وشرعه على المسلمين وهو الركن الأعظم من أركان الإسلام (الصلاة) التي فرضها الله مباشرة في السماء ولم يفرضها عن طريق الوحي؛ لعلو مكانتها وسموق قدرها. كما جاءت هذه المعجزة لتكرم المؤمنين الصادقين، وترفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

من مظاهر جبر الخاطر في رحلة الإسراء والمعراج

(٣٠) مظهراً لجبر الله لخاطر النبي ﷺ وأمته في رحلة الإسراء والمعراج

١. وقوعُ الإسراء والمعراج في ذروة الانكسار الإنساني، تأكيدًا أن الجبر الإلهي سيأتي لا محالة.
٢. اختيارُ الله تعالى لنبيّه (ﷺ) زمنَ الانكسار لا زمنَ الرخاء، تأكيدًا أن العناية الإلهية تأتي عند الشدة.
٣. الإسراءُ ليلًا، ليكون السكونُ مواساةً، والهدوءُ جبرًا، والسترُ رحمة.
٤. نقلُه (ﷺ) من ضيق الأرض إلى سعة السماء، جبرًا لخاطرٍ أثقلته جراح البشر.
٥. ركوبُ البُراق، بما فيه من سرعةٍ وتيسير، تعويضًا عن بطءِ النصرة على الأرض.
٦. التكريمُ بالمسير من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ربطًا بين الرسالات، وتثبيتًا لمكانته بين الأنبياء.
٧. الترحيبُ به في السماوات العُلا: «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، بدل ما لقيه من أذى واستهزاء.
٨. فتحُ أبواب السماء له دون غيره، إيذانًا بقبولٍ خاص، ومكانةٍ فريدة.
٩. الترحيبُ به في كل سماء: «مرحبًا بالنبي الصالح»، جبرًا لفظيًّا ومعنويًّا بعد سماع كلمات التكذيب والاستهزاء.
١٠. لقاؤه (ﷺ) بآدم عليه السلام، ليجد في أصل البشرية احتضانًا بعد جفاء الأقربين.
١١. لقاؤه بعيسى ويحيى عليهما السلام، في رسالة تسليةٍ وتآنسٍ بين أهل الدعوة والابتلاء.
١٢. لقاؤه بيوسف عليه السلام، رمز الجمال بعد السجن، تعزيةً بأن العاقبة للنور بعد الظلمة.
١٣. لقاؤه بإدريس عليه السلام، تذكيرًا برفعة المقام بعد الصبر.
١٤. لقاؤه بهارون عليه السلام، مواساةً بقرب الإخوة الصالحين.

١٥. لقاؤه بموسى عليه السلام، الذي ذاق عناد الأقوام، فكان فيه تسليةٌ وتثبيت.
١٦. لقاؤه بإبراهيم عليه السلام، وربطُه بالأصل الأعلى للملة الحنيفية.
١٧. إمامتُه (ﷺ) للأنبياء في الصلاة، إعلانًا ربانيًّا عن مكانته السامقة وانتقال النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وجبرًا لخاطره بعد تكذيب قومه.
١٨. الوصولُ إلى سدرة المنتهى، حيث تنتهي العقول وتطمئن القلوب.
١٩. تجلّي القرب الإلهي الخاص، بلا واسطة بشرية ولا حجاب مألوف، أعظم صور الجبر وأعمقها أثرًا في النفس.
٢٠. فرضُ الصلاة في هذا المقام العلوي، لتكون جبرًا دائمًا لا ينقطع، ومعراجا وقربا لكل مسلم مع ربه.
٢١. التخفيفُ في عدد الصلوات، مظهرٌ من مظاهر الرحمة والتيسير.
٢٢. اختيارُ الصلاة دون غيرها لتكون فريضة السماء، تكريمًا للنبي (ﷺ) ولأمته.
٢٣. الاطلاعُ على مشاهد من الغيب، توسيعًا للأفق بعد ضيق الواقع، وتثبيتًا لليقين.
٢٤. العودةُ إلى الأرض محمّلًا بالمعاني والأنوار.
٢٥. العودةُ إلى الأرض محمّلًا بالرسالة لا بالانكسار ومشحونا بالأنوار.
٢٦. تحويلُ الألم الشخصي إلى رسالةٍ كونية.
٢٧. تحويلُ الألم الشخصي إلى وعيٍ عام، يتجاوز الذات إلى الأمة.
٢٨. إعادةُ بناء اليقين الداخلي للنبي (ﷺ) قبل استئناف مسيرة الدعوة.
٢٩. ربطُ جبر الخاطر بالمسؤولية والعمل لا بالانعزال والانكفاء.
٣٠. جعلُ الإسراء والمعراج مدرسةً مفتوحةً للأمة: أن بعد الانكسار جبرًا، وبعد الليل فجرًا، وأن مع العسر يُسرًا، وحسن الظن بالله عند الشدائد

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد

الإسراء والمعراج

مدرسة السماء في جبر الخاطر، وتوسيع الرؤية، وبناء الأمة

لم تكن رحلةُ الإسراء والمعراج حدثًا خارقًا نحكيه ونرويه فحسب، ولا معجزةً معزولةً عن السياق، وإنما كانت ضرورةً ربانية اقتضتها سننُ الدعوة، ومقتضياتُ التربية، وحكمةُ البناء الإلهي للإنسان والرسالة.

أولًا: كانت جبرا إلهيا لخاطر النبي (ﷺ)

بعد عام الحزن، وفقد السند، وشدة الأذى والتكذيب، جاءت الرحلة جبرًا لخاطر النبي (ﷺ)، وتضميدًا للقلب، وتأكيدًا على أن السماء لم تترك نبيّها، وإن خذله أهل الأرض.

ثانيا: كانت إعادةَ بناء وتقويه لقلب النبي (ﷺ)

ليعود (ﷺ) إلى ميدان الدعوة بقلبٍ أكثر طمأنينة، ويقينٍ أرسخ، ونفسٍ أعلى من الجراح، بعد أن ضاقت به السبل الأرضية.

ثالثا: كانت إعلانًا ربانيا عن مكانته (ﷺ)

فإمامته (ﷺ) للأنبياء، وترحيب أهل السماوات به، وبلوغه سدرة المنتهى، كل ذلك بيانٌ إلهيٌّ عملي لمقامه، وردٌّ عمليٌّ على من استهان به وكذّبه.

رابعا: كانت تثبيتًا للرسالة

فالرحلة كانت شحنًا إيمانيًّا قبل استئناف المواجهة، وربطًا بين السماء والأرض في مشروع التغيير.

خامسا: كانت توسيعا لأفق الرؤية

فقد أراه اللهُ من آياتِه الكُبرى، ونقله من علمِ اليقين إلى عينِ اليقين، إذ شاهَدَ بعضَ آياتِ اللهِ العُظمى؛ ليعلم ﷺ أن الواقعَ المريرَ ليس كلَّ شيء، وأن الغيبَ أعظم، والآخرةَ أوسع، وأن للنصرِ سننًا لا تتخلّف.

سادسا: كانت تأسيسا للصلاة بوصفها معراج القرب من الله وزاد الطريق للمسلمين

فُرضت الصلاة في السماء، لتكون صلةً دائمة بالله، وسندًا روحيًّا للأمة في مسيرتها، وجبرًا متكررًا لا ينقطع لكل أحد من المسلمين.

سابعا: كانت ربطًا للرسالة الخاتمة بتاريخ النبوات

بالانتقال من المسجدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى، ثم إلى السماواتِ العُلى؛ تأكيدًا لوحدةِ الرسالات، وبيانًا لعنايةِ الله تعالى بالمؤمنين، وترابطِ مسيرةِ الوحي الشريف المعصوم عبر الزمان والمكان، وعبر الرسل والأنبياء وآخر خير الأنام ومسك الختام سيدنا محمد عليه الصلاة وأتم السلام.

ثامنًا: كانت إعدادا للأمة من خلال نبيها

فالرحلة لم تكن للنبي (ﷺ) وحده، بل للأمة من بعده، ليتعلموا أن بعد الألم رفعة وجبرًا، وبعد الليل فجرًا، وأن مع العسرِ يُسرًا.

تاسعا: كانت تصحيحا لمفهوم النصر ومواقيته

فالنصرُ لا يقتصر على العاجل الظاهر، فقد يكون ثباتًا في القلب، وبصيرةً في الرؤية، ويقينًا في الإيمان، قبل أن يتجلّى تمكينًا على أرضِ الواقع.

عاشرا: كانت درسا خالدا في حسن الظن بالله (سبحانه وتعالى)

كانت درسًا خالدًا في حسن الظن بالله تعالى، لتظل الإسراء والمعراج شاهدًا على أنه إذا ضاقت الأسباب فتح الله تعالى الأبواب، وإذا انكسر القلب تولّى الجليل (سبحانه وتعالى) جبره وراحته وسكينته وطمأنته.

ما الذي نتعلمه من رحلة الإسراء والمعراج؟

إن من أهم الدروس والعبر والهبات والمنح التي نأخذها من رحلة الإسراء والمعراج انها كانت منهاج عمل للمسلم للقرب من الله، وكانت منهاج عمل ايضا لترسيخ وتكريس الأخوة الانسانية بين جميع البشر، فاستقبال الانبياء والمرسلين لمحمد صلي الله عليه وسلم في بيت المقدس، وسلامه عليهم، وتواضعه لهم، وصلاته بهم إماما، واستقباله في السموات، لدليل دامغ علي عالمية الإسلام واعترافهم وإقرارهم وفرحهم ببعثته صلي الله عليه وسلم ودليل واضح علي سمو الأخوة الإنسانية فوق كل الاختلافات.. وكأن الله تعالي أراد أن يعلمنا ـ من هذه المشاهد ـ التواصل الانساني في أسمي معانيه، بعيدا عن الاستعلاء والنظرة الدونية للآخر، وان المصلحة العليا يجب ان تكون هي المحرك الاساسي لكل حركاتنا وسكناتنا.

نتعلم من الإسراء والمعراج كيف الوصول الي الله ؟ وذلك عن طريق الصلاة.. الصلاة معراج المؤمن الي الله.. الصلة بين العبد ومولاه.. الصلاة الخط المفتوح بينك وبين الله، فمن أراد ان يكلم الله فليدخل في الصلاة.. الصلاة التي فرضها الله علي نبيه مباشرة من فوق، ولم يفرضها عن طريق الوحي، لعلو منزلتها ومكانتها السامقة عند الله.

نتعلم من هذه الرحلة ان بعد الصبر فرجا.. وان بعد العسر يسرا وان الجزاء من جنس العمل.. نتعلم الصدق والصداقة من ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي قال للمشركين ـ حينما قالوا له إن صاحبك يدعي انه ذهب الي بيت المقدس ورجع في نفس الليلة ـ قال لهم: أقال ذلك ؟ ـ عندها فرح المشركون، وظنوا أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) سيترك محمدا ويتخلي عنه ـ قالوا نعم، وإذا به يفاجئهم بمبدئه الراسخ إزاء رسول الله (ﷺ) قائلا لهم: إن كان قال فقد صدق ولو قال انه عرج به الي السماء لصدقته، إنني اصدقه فيما أبعد من ذلك.

ومن أهم دروس الإسراء والمعراج كثرة الذكر لله واستحضار عظمة الخالق العظيم. فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يامحمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)

اخرجه الترمذي في سننه.

ليتنا نجعل من دروس هذه الذكري العطرة منهاج عمل وطريقة للوصول الي الله سبحانه وتعالي.

رحلة الإسراء والمعراج كانت ملهمةً، كافيةً، شافيةً، وكأن الله (جل جلاله) يقول لرسوله (ﷺ): إن ضاقت بك الأرضُ؛ فلن تضيق بك السماء، وإن كذبك أهلُ الأرض فلك التصديق من الملأ الأعلى في السماء، وإن أساء أهلُ الأرض استقبالَك؛ فسيحتفي بك مَن في السماء.

نتعلم من هذه المعجزة أن الأمة تحتاج إلى معراج حضاري تنتقلُ به من التشرذمِ إلى الوحدة، والتألّق، والإشراق بأنوار النبوّة. وهكذا كانت رحلة الإسراء والمعراج -ولا تزال وستظل- آية من آيات الله الكبرى لمن أراد أن يذَّكر، أو أراد شكورًا؛ فليس لجاحد أن ينكر، ولا لحاقد أن يستكثر؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم.

- رحلة الإسراء كانت شافية، كافية، ملهمة، وكأن الله جل جلاله يقول لرسوله (ﷺ): إن ضاقت بك الأرض؛ فلن تضيق بك السماء، وإن كذبك أهل الأرض فلك التصديق من الملأ الأعلى في السماء، وإن أساء أهل الأرض استقبالك؛ فسيحتفي بك مَن في السماء.
- رحلة الإسراء والمعراج جاءت في وقتها وأوانها؛ فقد ربط الله -عز وجل- الأرضَ فيها بالسماء، حيث فرض فيها الصلاةَ -وهي معراج المؤمن إلى الله- إنها الصلة الموصلة للعبد بمولاه، إنها الخط المفتوح مع الله، فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة- وهنا نلمح ملمحًا جليلا؛ إذ فرض اللهُ الصلاةَ على نبيه مباشرة بدون واسطة الوحي، ومن الحضرة القدسية، ولم يفرضها في الأرض؛ لعلو منزلتها ومكانتها السامية عند الله.
- رحلة الإسراء والمعراج -كانت وستبقى- نبراسًا ينير للمسلمين الدرب، ومنهاج عمل يأخذون منه الدروس والعبر، ويجب أن تكون دروسها حاضرة في كينونة كل مسلم على الدوام، يعيش معها وبها في كنف الله.
- رحلة الإسراء والمعراج وضعت الأساس المتين للأخوة الإنسانية، وارتفاعها فوق كل الاختلافات، ذلك أن استقبال الأنبياء والمرسلين لسيدنا محمد (ﷺ) في بيت المقدس، وسلامه عليهم، وصلاته بهم إماما، واستقباله في السموات، لدليل دامغ على ذلك، وتأكيدًا على أن التعددية سنة ماضية من سنن الله في الكون وفي الخلق وفي الحياة، تبعث فينا روح التعايش والسلام في أجلِّ معانيه.
- رحلة الإسراء والمعراج أكدت عالمية الإسلام، وخاتميته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، بدلالة فرح جماهير الأنبياء ببَعثَته، وإقرارهم بها، وتقديمه لإمامتهم، فكان هذا إيذانًا للعالمين بعموم رسالته (ﷺ)، وخلود إمامته، وإنسانيَّة تعاليمه.
- رحلة الإسراء والمعراج علمتنا الأمل والعمل، وتعلمنا دومًا التفاؤل والثقة فيما عند الله جل في علاه، وأن الفرج بعد الصبر آت لا محالة، وأن اليسر آت آت بعد العسر، وأن الجزاء من جنس العمل...

- رحلة الإسراء والمعراج علمتنا أهميةَ الصدق، وحسنَ الصداقة، وعظمةَ الثبات على المبدأ من الصحابة الأخيار.
- رحلة الإسراء والمعراج علمتنا وتعلمنا أهمية الصَّدِيق الصالح الصادق في حياة الشخص، فهذا الصِّدِّيق (رضي الله عنه) ذهب إليه بعض المشركين وقالوا له: "إن صاحبك –يقصدون محمدًا– يزعم: أنَّه أسري به اللَّيلة إلى بيت المقدس! فقال لهم: أَوَ قَال ذلك؟! –عندها فرح المشركون، وظنّوا أنه سيترك محمدًا ويتخلى عنه–، قالوا: نعم يا أبا بكر قال ذلك!، وإذا به يفاجئهم بقوله الراسخ القاطع: "لئن كان قال ذلك، فقد صدق"!، قالوا: أوَ تصدِّقه: أنَّه ذهب اللَّيلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: "نعم، إنِّي لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه في خبر السَّماء". فلذلك سُمِّي أبو بكر: الصِّدِّيق.
- نتعلم من هذه الرحلة أن طريقَ الوصول للجناب الأعلى جل وعلا، يكمن في إخلاص العبادة والعمل له جل وعلا، وكثرة ذكره وشكره، واستحضار عظمته وقوته وقدرته، ورحمته وجلاله على الدوام.

وهكذا كانت رحلة الإسراء –ولا تزال وستظل– آية كبرى لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورًا؛ فليس لجاحد أن ينكر، ولا لحاقد أن يستكبر؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله (تعالى) العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد.

اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drs- liman٥٥٥٥٥@gmail.c- m

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(#معارج_الدعاة خُطب منبرية وقضايا فكرية وتربوية معاصرة د. أحمد علي سليمان؛ لمتابعة كل جديد

/https://www.faceb- - k.c- m/drahmedalis- liman